الأمثال الشعبية والثقافة السياسية في ليبيا

ا. محمد سالم مامي*

المقدمة :

اجمع العديد من المهتمين بقضية الديمقراطية والممارسة الديمقراطية في النظم السياسية على العلاقة الوطيدة التي تربطها بالمشاركة السياسية ، والتي تتأسس على عدد من الأسس، من بينها الثقافة السياسية التي تسود المجتمع ، والتي تعتبر جزءاً من الثقافة العامة للمجتمع . حيثُ تلعب ما تحمله الثقافة العامة من قيم ومعتقدات ، أدب وفنون وتوجهات وأفكار وتصورات ، وسلوك ترسخت عبر تاريخ طويل من تطور المجتمع ، دوراً مؤثراً في تكوين الثقافة السياسية ، وبالتالي في عملية المشاركة السياسية .

هذه الورقة ما هي إلا محاولة للاقتراب من استكشاف نوع الثقافة السياسية في ليبيا ، من خلال دراسة بعض الأمثال الشعبية الليبية ، وتحليلها لمعرفة مضمونها السياسي ، حيث أن الأمثال الشعبية في ليبيا ترسخ العديد من قيم الثقافة السياسية التابعة أو الرعوية ، والتي تعكس قيماً وأنماط سلوك وتوجهات وأفكار تؤثر في عملية المشاركة السياسية ، وبالتالي تنعكس على الممارسة الديمقراطية وتنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أن بعض الأمثال الشعبية في الثقافة الليبية تحمل مضامين سياسية تعكس إلى حد كبير نمط الثقافة السياسية الرعوية التابعة ، حيث أن تلك الأمثال الشعبية تمثل جزءاً من الثقافة العامة للمجتمع .

ستتم محاولة الاقتراب هذه من خلال التعرف على الثقافة السياسية وأنواعها بصورة عامة وعلاقتها بالثقافة العامة للمجتمع ، ثم تحليل مضمون مجموعة من الأمثال الشعبية الليبية ، للتعرف على المضمون السياسي لتلك الأمثال المختارة ، والى أي نوع من الثقافة السياسية تشير ؟ أو ما هي الدلالات والمضامين السياسية لتلك الأمثال ؟

---

* محاضر ، قسم العلوم السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة قاريونس ، بنغازي ــ ليبيا

أولا : الثقافة السياسية وأنواعها

" تعتبر الثقافة عنصراً هاماً من عناصر التراث الاجتماعي ، وتشمل الثقافة فيما تشمله ما يتلقاه الفرد عن الجماعة من مظاهر الفنون والعلوم والمعارف والفلسفة والعقائد وما إليها ، ويرجع إلى هذا التراث الفضل فيما وصل إليه الأفراد من مستوى اجتماعي وحضاري." (1)

لكن ورغم اختلاف التراث الاجتماعي وتباينه بين بيئةٍ وأخرى تبعا لطبيعة البيئة ، من حيث الحجم والتركيب الطبقي والسكاني وما تعرضت له من تجارب ومراحل تطور (2) عبر تاريخها ، غير ان سلوك الفرد يبقى مرتبطا بثقافة المجتمع الذى يعيشه ، فذلك السلوك يتقرر بما تفرضه قواعد المجتمع ونظمه والتي يتعلمها الفرد منذ ولادته ، فتفرض عليه تصرفاتٍ وتوجهات تكون أسسها مستمدة من ثقافة المجتمع(3) بل يذهب جون دولارد إلى القول بأنه "بالإمكان عن طريق بضعة افتراضات معينة ، تحديد نوع الأفكار والآراء التي سيعتنقها شخصٌ ما ، تحديداً مسبقا قبل مولده ، إذا نحن درسنا تراثه الثقافي . والحجة التي يسوقها جون دولارد للبرهنة على ذلك ، هي أننا كلما ازددنا فهماً ومعرفة بالطبقة التي ينشأ في ظلالها الفرد وبطرز التراث الثقافي السائد ، ازددنا قدرة على تحديد خصائص هذا الفرد قبل مولده." (4)

تعتبر الثقافة العامة للمجتمع مصدراً ومنبعاً للثقافة السياسية ، حيث تشمل قيماً ومعتقدات تحتويها الثقافة العامة ، فهي تشكل فرعاً من تلك الثقافة بما تحتويه من عناصر مختلفة ومتعددة ، وقد تكون كذلك متناقضة ، ومن أبرزها التراث الشعبي، وهي حصيلة التفاعل بين عوامل عديدة من بينها الخبرة التاريخية والوضع الجغرافي والدين ، والظروف الاجتماعية والاقتصادية ، وهي تضم ثقافات سياسية فرعية أو ثانوية ، حيث تختلف الثقافة السياسية بين شريحةٍ أو فئةٍ أو طبقة وأخرى بالمجتمع ، فاختلاف الثقافة السياسية ، يظهر بين ما يحمله الحضر والبدو ، الشيوخ والشباب ، الصفوة والجماهير ، المدنيين والعسكريين ، وقد أشار الموند إلى أن كل نظام سياسي " يترسخ حول أنماط محددة من التوجهات التي تضبط التفاعلات التي يتضمنها النظام الاجتماعي ، وبالمثل تكون الثقافة السياسية بمثابة التنظيم غير المقنن للتفاعلات السياسية (التي) هي جزء من الثقافة العامة للمجتمع وان كانت تتسم بشيءٍ من الاستقلالية داخلها" (5)

وقد أكد فيربا على علاقة الثقافة السياسية بالثقافة العامة بقوله " إن المعتقد الأساسي وأنماط القيم في الثقافة – وهي تلك القيم العامة التي لا تُشير أو تدل على أهداف سياسية محددة – تلعب عادة دوراً رئيسياً في بناء الثقافة السياسية . إن أبعاد المعتقد الأساسي مثل نظرة الإنسان لعلاقته مع الطبيعة أو منظورهِ للوقت وتصوره للطبيعة الإنسانية والطريقة السليمة للتكيف مع أخيه الإنسان ، إلى جانب التوجهات تجاه النشاط والحركية بصفة عامة لها علاقة متبادلة بشكل واضح مع الاتجاهات السياسية المحددة ." (6)

وقد ركزت دراسات عديدة للثقافة السياسية على القيم الاجتماعية ونظام المعتقدات ، وأشكال السلوك في بيئات ثقافية مختلفة على اعتبار أن ما يسود تلك المجتمعات أو البيئات الثقافية المختلفة من قيمٍ ومعتقدات يؤثر في أنماط سلوك وتوجهات الأفراد ، وفي رؤيتهم للنظام السياسي الذي يعيشون فيه.(7)

عُرِّفت الثقافة السياسية بأنها "مجموعة التوجهات السياسية والاتجاهات والأنماط السلوكية التي يحملها الفرد تجاه النظام السياسي ومكوناته المختلفة وتجاه دوره كفرد في النظام السياسي." (8)
وعُرِّفت أيضاً بأنها " منظومة القيم والأفكار والمعتقدات المرتبطة بظاهرة السلطة في المجتمع"(9)
وقد حدد الموند أربعة أبعاد تتكون منها الثقافة السياسية من بينها التوجهات الذاتية للأفراد تجاه العملية السياسية ، وما يحملونه من مشاعر وأحاسيس ، وتقييمات ، ومعتقدات وخبرات ومعلومات والتزامات بقيم سياسية ، كما أشار إلى أهمية عملية التنشئة السياسية للفرد منذ طفولته ، وما يتعرض له من وسائل تأثير عبر مراحل حياته المختلفة ، في تشكيل ثقافته ومعتقداته السياسية ، مما يعني أن الثقافة السياسية لأي مجتمع هي محصلة أو نتاج لعملية التنشئة السياسية ، رغم أن ما يتعرض له الفرد من قنواتٍ للتنشئة المختلفة ، قد لا يكون ذا أبعادٍ سياسية مباشرة ، ولكنه ذو اثرٍ في تحديدِ شخصيتهِ وسلوكهِ واتجاهاتهِ السياسية والمستقبلية، والتي تتحدد بثلاثة أبعادٍ هي إدراك الفرد للنظامِ السياسي و أدوارهِ المختلفة ، ثم مشاعرهِ تجاه النظام السياسي والسلطات والسياسات العامة، و أخيرا تقييمه و أراءه تجاه كل ذلك ، حيث يمكن ومن خلال ذلك قياس الثقافة السياسية في أيِ مجتمع بمعرفة الأبعاد الثلاثة تجاه النظام السياسي ، وجانب المُدخلات والمخرجات ودور الفرد في الحياة السياسية .(10)
حيث تم تقسيم الثقافة السياسية إلى ثقافة سياسية ضيقة أو محلية وهي تشير إلى أن أفراد أي مجتمع لا يحوزون على أي قدرٍ من المعرفة ، أو القدرة أو الرغبة في التقييم

أو الحكـــم تجاه النظام السياسي من مُدخلات ومخرجات ، أو في أدوارهم تجاه العملية السياســية كمشــاركين ومؤثريـــــن ، وينحصر دورهم فـــي الانصياع إلى مخرجات الــنظام ، والالــتزام بهـــا ، نتيجة عجزهم أو عدم معرفتهم لأية بدائل أخرى أو لعدم رغبـــتهم في طرح آرائهم أو مساهمتهم . أما النوع الثاني من الثقافة السياسية فهي ما عُــرف بالــثقافة السياسية التابعة أو الرعوية والتي تشير إلى تدني مستـــوى المشاركة والمســـاهمة مـــــن قبل أفراد المجتمع في مدخـــلات النظام السياسي ، رغم معرفتهم بمخـــرجاته ،حيـــث يكـــون امتـــناعهم وعـــزوفهم نتيجة ليأسهم من جدوى المشاركة والمســـاهمة، أو لقناعـــتهم بعدم القدرة على التأثير . بينما أطلق على النوع الثالث من الـــثقافة السياسية اسم الثقافة السياسية المشاركة ، وهي تُشير إلى إدراك ومعرفة أفراد المجـــتمع للـــنظام السياســـي ومؤسســـاته مُدخلاته ومخرجاته ،وبأدوارهم كمشاركين ومساهمين في العملية السياسية ، وبقدرتهم على التأثير في العملية السياسية .(11)

إن محـــتـــوى الأنـــواع الـــثلاثـــة للثقافة السياسية تشيـــر جميعها إلى ما يحملهُ الفـــــرد من قيمٍ ومعتقداتٍ ومعلومـــاتٍ ومعارف وتجارب اكتسبها وتعلمها بطريـــق مباشـــر أو غيـــر مباشر ، مخطط أو غير مخطط عبر مراحل عمرهِ المختلفة ، وعن طـــريق قـــنوات التنشـــئة المختلفة ، اجتماعية أو سياسية ، أثرت في سلوكه وتوجهاته وإدراكـــهِ وتصـــرفاتهِ في مختلـــف جوانب الحيـــاة السياسية ،هذا المحتوى الذي تشير إلـــيه الـــثقافة السياســـية بأنماطهـــا الثلاث ،لا يعدو عن كونهِ جزءا من الثقافة العامة للمجـــتمع، بما تحتويه من معتقداتٍ وقيم وأفكار وأنماط سلوك ، تنتقل وتورث من جيلٍ لجـــيل ، فالـــثقافة السياســـية "تـــبقى عاملاً مهماً في التفسير السياسي وذلك إلى جانب العوامـــل والمتغـــيرات الأخرى ، مثل العلاقات الطبقية والمؤسسات السياسية وتفاعل القـــوى الدولـــية .إن العديـــد من الظواهر السياسية لا يمكن تفسيرها بدون فهم المحيط الثقافـــي الـــذي تحـــدث فيه .. (و) دون فهم وإدراك المتغيرات الثقافية مثل دور الدين والإطار القانوني والأيديولوجيات والحالة النفسية للمواطنين"(12)

إن ارتـــباط الـــثقافة السياسية في أي مجتمع بالثقافة العامة يجعل من الضروري تحديد أبعـــاد الثقافة العامة وما تحتويه من عناصر ومكونات ، قيمٍ ومعتقداتٍ وأفكار تنقل إلى الأجـــيال التالية والمتعاقبة ، تؤثر بشكلٍ مباشر أو غير مباشر ، في مدارك ومشاعر ، وتصرفات الافراد اجتماعياً وسياسياً ، وتجعل من الضرورة تحديد ماهية تلك الدلالات التـــي تحملهـــا مكونات الثقافة العامة لأي مجتمع ، والى أي نوع من الثقافة السياسية تشـــير ، وحيـــث أن من مكونات الثقافة العامة لأي مجتمع العرف والذي يتمثل في " الحكـــم والأمـــثال والأغاني الشعبية والقصص الأدبية ، التي تعتبر مظهراً من مظاهر الـــتراث الثقافـــي ، والتـــي تصـــور لنا التاريخ الأدبي واللغوي وتلقي ضـــوءاً على

التاريخ القومي ... (كما أن) لهذه الحكم والأمثال نوعاً من السلطة الأدبية ، وهذه السلطة مستمدة من فكر الجماعة ومن منطق العمل الجماعي. ولذلك نرى أن الأفراد يستشهدون بها في كتاباتهم وأحاديثهم ، ويدعمون بها آراءهم وحُججهُم ، ويعتمدون عليها في تبرير كثيراً من أعمالهم، وترتبط هذهِ الألوان الأربعة بمختلف أوجه النشاط الاجتماعي فمنها : ما يتصل بالنواحي السياسية والاقتصادية ومنها ما يتصل بالنواحي الأخلاقية والإنسانية الأسرية .[13]

من هنا كان اختيار بعض الأمثال الشعبية وباعتبارها من مكونات التراث الثقافي لأي مجتمع ، لتحليل مضمونها والى أي نوع من الثقافة السياسية تشير .

ثانيا : المضامين السياسية للأمثال الشعبية :

تأتي أهمية تحليل مضمون الأمثال الشعبية من اعتبارها من مكونات الثقافة العامة للمجتمع ، التي تشكل الوعاء الذي تتشكل فيه الثقافة السياسية ، حيث تعتبر الأمثال الشعبية والتي تتميز ببساطة الأسلوب والإيجاز ، ووضوح المعاني ، وتصوير حقائق الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات " وتعكس الواقع الاجتماعي بأبعاده السياسية والاقتصادية والدينية "[14] كما تعتبر الأمثال الشعبية من وسائل التعبير الصادقة والدقيقة عن ثقافة المجتمع وشرح أساليب حياته فهي "الوسيلة التعبيرية التي يتخذها الإنسان في وصف تجربته الخاصة ، وفي تقديم تصرفات غيره ، وفي عرض وسائل حياته ،وطرق معيشته ، ونفسية وطبائع أفراد مجتمعه[15]

والأمثال الشعبية في ليبيا هي نتاج تراكمات تجارب وحضارات وثقافات متنوعة ومختلفة ، نتيجة ما تعرضت له ليبيا من هجرات وغزوات واتصالات بأمم وحضارات مختلفة ، حملت معها قيمها ومعتقداتها فاكتسبت منها ، وتأثرت بها ، ولكن "ما ينبغي التأكيد عليه ، هو أن جميع الأمثال المتداولة في ليبيا، تعبر عن وجهة نظر الليبيين حيال جميع القضايا ، وتحظى بألفتهم واستحسانهم ، وهذا يكفي ليجعلها تشكل مخزونا تراثيا واحداً بصرف النظر عن أصولها الأولى .....(فالمثل الشعبي) وان تعددت أصوله ، واختلفت مصادره يكون تراثا شعبياً واحداً ، لأنه يعبر بكامل ما جاء فيه تعبيراً صادقاً عن مشاعر الليبيين وأفكارهم ، وينقل الجوانب الرئيسية من تاريخهم وثقافتهم العملية والنظرية " [16]

وبربط هذه الأمثال الشعبية ومضمونها بعناصر ومكونات الثقافة السياسية بأنماطها الثلاث وما تحتويه من خصائص وسمات وقيم واتجاهات ، وأنماط سلوك

ومعـــتقدات ، يلاحـــظ أن العديد من هذه الأمثال الشعبية، ترمز وتشير إلى قيم وأفكار حـــول السلطة أو الحاكم أو السلطان تتمثل في عدم القدرة على مواجهة تلك الرموز أو ما يشير إليها سواء كانت قوة طبيعية كالكوارث أم قوة مادية أو اقتصادية أو اجتماعية، فالمـــثل الشعبي الذي يقول : " الايدْ ما تِعْانِدش المِشفة" والمشفة هنا هي المنجل و "مْن يقـــدر يقـــول للصـــيد فمّكْ ابْخرْ " [17] تدل على عدم القدرة على المواجهة ، فالمشفة والصـــيد مفـــردات تشـــير وترمـــز إلى القوة والتي تشير أيضا إلى السلطة من الوجه السياســـي ، وهـــي إشـــارات تدل على ضعف الفرد أمام تلك القوة وعدم القدرة على المواجهـــة ، هـــذه المواجهة التي لا يمكن أن تحدث إلا في غياب تلك القوة أو السلطة (الســـلطات) حيث يعبر عن ذلك بمثل آخر يقول "يلْعنْ بُو السُّلطانْ في غيْبته"[18] يبرز الخـــوف وعدم القدرة على مواجهة السلطة أو النظام الحاكم بصورة اكثر وضوحاً في ذلك المثل الذي يقول "أليْ خافْ سِلِمْ " [19] وفي "الفم المسكّر ما يدخله ذبان" [20]

إن هـــــذه العلاقة ، علاقة الخوف ، وعدم القدرة على المجابهة، والتي تبدأ من "علاقة القهر والرضوخ تجاه الطبيعة ، علاقـــة العنف الكامـــن بينـــه وبينها، تضاف إلى قهر من نوع آخر ، قهر إنساني . الإنسان المتخلف ، هو في النهاية الإنسان المسحوق أمام القـــوة التـــي يفـــرض الســـيد عليه قهرها ، أو التسلط ، أو الحاكم المستبد ، أو رجل البوليس" [21] .تؤدي حتما إلي وضعية وعلاقة أخرى ، بل حالة تنتاب الفرد المواطن ، تتمـــثل في السلبية واللامبالاة وعدم الاكتراث بكل ما يدور حوله ، بل تشتد تلك الحالة الـــناتجة عن مرحلة الخوف وعدم القدرة على المواجهة إلى حد الرضوخ والاستسلام ، فالمـــثل الشعبي الذي يقول " اللي رافع قربة تقطر على سيقانه – اللي تلقاه راكب على خشْبة قوله مبروك الحصان "[22]

"ألـــي ياخُـــدْ أمّنا هو أبُونا– العِيْشة ولـــو كانْ تحِـــتْ حافِر حْمارْ – حُطّ رأسك بين الـــــروس (وقُـــــول يا قطاع الرُوسْ) " [23] بـــل يتمثـــل الخضـــوع والاستكانة في أقصى معانيها في " اللي تخدمه طيعه واللي بْترهْنة بيعه –اللي خصِيمه القاضي لشْكُون يشـــكي" [24] هـــــذه الرؤية والحالة التي يعيشها المواطن الفرد تجاه السلطة من سلبية وعجز وخضوع تتولد عنها حالة من الشعور اشد وطأة وهي " الوقوع في الدونية كقدر مفروض. " [25] والتي يعبـــر عنها في أمثال شعبيـــة كا " مِيّة حبة كسكسو مايْجُو قنّانْ – الذّلـــة ولا أخْـــــل الـــدّار – مايْجِي مْـــن العْربْ باشا ولا مـــن الحطبْ ماشا – لا يلْحـــــق العربـــي دولـــة إلا المسْـــحة والجدولة –العين ما تِعْلا (تِتْعلىّ) على الحاجبْ (حاجِبْها) " [26]

ويصاب المواطن الفرد تجاه السلطة والحاكم والسلطان وتجاه كل ما يرمز لها بحالة من الكراهية ، فيحاول الابتعاد عن رموزها ، وما يقربه لها ، بل يسعى إلى النفور وعدم الاقتراب منها ، لعدم قدرته على مواجهتها وعجزه عن الوقوف ضدها واتقاء لشرها ، ولشعوره بدونيته واستصغار شأنه أمامها، وهي حالة من عدم الثقة في النفس، فالمواطن يبتعد عن السلطة والنظام السياسي " ويقطع الصلة به . يغذي مشاعر عداء باطنية تجاهه تعزز ميله إلى تجنبه وتجنب رموزه و أدواته ، وتتضخم عنده مشاعر الفرقة والاختلاف اللذين يغذيهما الخوف بالإضافة إلى العدوانية الباطنية ، علاقة الخوف والعدوان ، لا تبعده عن المتسلط فحسب ، بل عن كل ما يمثله من نمط حياة وقيم وأدوات (الشرطة ، المحاكم ، القضاء ، الإدارة ، .. الخ) [27] ، ويعبر عن كل ذلك في أمثال شعبية تحمل وتمثل تلك المعاني وتشير إليها " الايدْ أليّ ما تقدر تْعضها بوسها – باشا ألي ماعرفش الباشا –عادِ باشا ولا تعادِ عسْكري –ثلاثة مالِيْهُمْ (لهم) أمانْ : الدّنيا والبحر والسلطان " [28] إن المواطن الفرد وبحكم علاقة العداء والنفور والابتعاد ومشاعر الكراهية تجاه السلطة والحاكم يعبر عن نوع من " الشك والحذر والحيطة من الأذى الذي قد يلحقه به المتسلط وأدواته ... (فهو) ... لا يتجنب العلاقة المباشرة فحسب ، بل يتهرب من المشاركة في كل ما هو عام . انه يقف موقف المتفرج العاجز أو الشامت ، لا يستجيب لنداء ، ولا ينخرط في نشاط ولا يساعد فيما يرتد على الجموع بشيء من الخير " [29]

ورغم تلك المشاعر والأحاسيس التي تنتاب الفرد تجاه السلطة والنظام السياسي وتجاه نفسه وذاته ، يلاحظ عليه محاولة التماهي بالسلطة والحاكم وتقليد تصرفاته ومحاكاته " مْطنْبر زيّ الباشا –قالّه له : يابُويْ امْتى ثولُوا شُرُفا قالْ لهْ : امْتى يْمُوتُو كْبار الحُومة-" [30]
كما يحاول المواطن الفرد أيضا أن يعبر عن كرهه للسلطة ورموزها رغم محاولته التماهي بها من خلال تعبيره عن كل ذلك بقوله " مشْية متصْرف (حصان) لْفزانْ(دليل البعد وتمني عدم العودة) – دِقْ رزق حكومة" [31] . كما يعبر عن إحساسه بفساد السلطة والحاكم ويحدد موقفه من ذلك من خلال تبنيه لأفكار ومشاعر تمثل كرهه لذلك في أمثال شعبية مثل " الحوته خامرة من رأسها –صلاة القياد جمعة وعياد" [32]

كل هذه الأمثال الشعبية وما تحمله من قيم ومعتقدات ومواقف ومشاعر تؤدي إلى نتائج أسوأ منها ، فهي تقود إلى السلبية والانكفاء على الذات ومحاولة الاحتماء بالجماعة (القبيلة والعشيرة) بل تقود أيضا إلى التملق والتزلف

والــرياء " والنفاق والخضوع الكلي للحاكم؛ مثل : طبس تخطاك ، المحتاج يقول للكلب : يا سيدي... امشي صحيــح لا تعثر ولا تطيح " [33] وتظهر السلبية في المثل الشعبي " اللي يعطيك حبل كتفه بيه- اخطى رأسي وقص - نلحس مسني ونبات متهنى- العب وحدك ما تشك" [34]

إن محاولة الفرد التعبير عن سلبيته والابتعاد عن السلطة أو المشاركة فيها ورفض الاقــتراب منها تصل " إلى حد التمسك الشديد بالجماعة وتراثها خصوصاً في مجابهة المتســلط الخارجي (المستعمر) وبذلــك تتدعم التقاليد وتقــوى شوكــة دعوة العودة إلــى الماضي العريق ، يضاف إلى هــذه الدعوة ميــل للذوبان في الجماعة المرجعية لدرجة تزول معها الفردية بشكل شبه كامــل " [35] ويظهــر التعبيــر عــن ذلــك في " ملـــس مــن طينــك ابقــى لــك -نقطة دم ولا ألف صاحب - النعجة الطياشة من سعد الذيب " [36] " اللي كيف الناس لا باس -اللي بيك بغيرك " [37]

أما التزلف والنفاق فلعل في المثل الشعبي الذي يقول " كان خشيت بلاد يعبدوا في العجــل عليك بحش الحشيش " [38] " أرخي روحك تعوم" [39] تدل دلالة واضحة على عــدم الاستقلالية في الرأي أو القدرة على إبدائه ومخالفة أو معارضة أي موقف حتى وإن كــان مــا يمارس غير صحيح ، بل تدعو هذه الأمثال إلى الرياء والتشبه بما هو موجود ، دون موضوعية أو مخالفة سواء لعدم قدرة أو لخوف .

إن اســتعــراض هـــذه الأمثال المختــارة ، كمحاولة لإبراز ما تحتويه من قيم وأفكار ومعتقدات ، وأنماط سلــوك ، ومشاعــر وأحاسيــس تجــاه السلطــة والحاكم والــنظام السياسي ، والذي تمثلــت في رمــوز مثل الباشا -السلطان -السيد - الصيد - الحاجب - المتصــرف ، إلى غيــر ذلــك من الرموز ؛ والتي تشير إلى القوة أو النخــبة أو المرتــبة العليا ، أبرزت و أوضحت العديد من القيم والمعتقدات والكثير من الــتوجهات التــي تشير إلى ذلك النمط من الثقافة السياسية التابعة أو الرعوية مع ميل أحــيانا وبصــورة قليلة إلى الثقافة السياسية الضيقة أو المحلية ، بما تحمله من صفات وخصائص وسمات وما تحتويه من قيم تتمثل في عدم المبالاة والسلبية والعجز ، وعدم المعرفة والإدراك ، أو لعدم الرغبة أو الإحساس بعدم الثقة في النفس ، يمكن القول أن الكثير من الأمثال الشعبية ترسخ وتؤكد مثل هذه السمات والصفات والخصائص والتي تعبر عنها الثقافة السياسية التابعة .

فالهــروب مــن مواجهة الواقع والتحديات والاستسلام أمام أية صعوبات مادية أو نفســية ، تــبرر بالعديد من القيم التراثية والرموز والحكم والأمثال ، التي تضفي على

تصـــرفات الفـــرد وســـلوكـــه المشروعية ، والامتثال والقبـــول ، بل الانكفاء على الـــذات والـــتقوقع والقدريـــة ، وهـــي سمات يتسم بها الإنسان المقهور الذي يحد " من طموحاتـــه ... بأن يتقبل مصيره ، أو يحاول إيهام ذاته بتقبل هذا المصير. ويغرق في بؤسه الذي يتخذ عندها طابع القدر والنصيب " [40]

ولكـــن مـــا يجـــب مراعاته أن هناك أمثالا مشتركة تصور " تقاليد غريبة عن التقاليد العربية الفضلى ، وتعكس قيماً أخلاقية مخالفة للقيم العربية التي نعهدها . ويبدو أن هذه الأمثال شاعت في عهود التخلف الحضاري والاستبداد السياسي والقهر الاجتماعي التي لم ينج بلد عربي من آثارها السيئة" [41]

كما يجب مراعاة ورغم ذلك أن تلك الأمثال الشعبية أصبحت جزءا لا ينفصم ولا يـــتجزأ مـــن التراث الشعبي " وتشكل مخزوناً تراثياً واحداً بصرف النظر عن أصولها الأولى" [42] وهي بذلك أصبحت تشكل جزءا من التقاليد التي تكون " أوآلية دفاعية ضد قلـــق مجابهـــة المســـؤولية الذاتية . فهي (التقاليد) بما يسبغ عليها من صفات القانون الطبيعـــي ، تتضـــمن تبريراً للعجز الذاتي عند الإنسان المقهور . فإذا كان راضخاً أو فاشـــلاً أو بائســـاً ، وإذا كان عاجزاً عن تحمل تبعية مصيره والنهوض للتحديات التي تطرحها عليه علاقة القهر وضرورة التحرر منها" [43] .

وأخـــيراً وفـــي نهاية محاولة الاقتراب هذه وكما يقول المثل الشعبي (الكلام بلا معنى سفاهة) إن خطورة وأهمية هذه الأمثال الشعبية وبما تحمله من قيم تكمن في أنها مـــن ضـــمن تـــراث المجتمع الذي هو جزء من عناصر الثقافة العامة ، وعاء الثقافة السياســـية التـــي تتأسس عليها عملية المشاركة السياسية من قبل أغلب المواطنين والى الشـــعور بالاقـــتدار السياســـي أي الشعور بالقدرة على التأثير في مجريات الأحداث ، والحـــياة السياســـية ، بوســـائل متعددة ، بداية من التعبير عن الآراء ، ووجهات النظر المعارضة أو المؤيدة ، تجاه قضايا المجتمع المختلفة ، والتسامح الفكري الذي لا يخرج عـــن كونـــه كفالة حرية التعبير وإبداء الرأي ، واحترام كل وجهات النظر ، والقبول بمبدأ المنافسة ، دون خوف أو كبت ، علاوة عن ضرورة توفر روح المبادرة والمبادأة فـــي جانـــبها السياسي ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، مع توفر الثقة بين أفراد المجتمع ونظـــامهم السياسي ، وبين مؤسسات النظام السياسي [44] مما يسمح ذلك بترسيخ نمط مـــن العلاقات في المجتمع ، وقواعد وأسس وقيم تضمن مشاركة سياسية فعالة ، ترسخ وتؤكـــد الديموقراطية التي "لن يكون بالإمكان إرساء قواعد ممارسة ديمقراطية سليمة وتكريسها في إطار بنية سياسية ملائمة ، إلا عندما ترتقى بنية الثقافة السياسية .... إلى مســـتوى وقواعد وأسس العمل الديمقراطي بمبادئه ومضامينه التي ترتكز على الإيمان

بالمواطـــنة ومـــا يترتب عليها من حقوق وامتيازات واعتبارات إنسانية أهمها المساواة والمشاركة السياسية الحرة " [45] .

إن خطـــورة وأهمـــية هذه الأمثال ، وهذا التراث تكمن أيضاً في أنها تنتقل وتنقل عـــبر قـــنوات التنشئة السياسية ، عن طريق التعليم غير المباشر وغير الرسمي وغير المخطط في مراحل عمر الفرد المختلفة ، حاملة معها كل القيم وأنماط السلوك.[46]

وهـــــي تعتـــبر مـــن " أكثـــر مكونات الثقافـــة مقاومة للتغيير (باعتبارها من) الاتجاهات والانتماءات العرقية (الاثنيـــة) والدينيـــة والقومية . فهـــي ارتباطات أولية من الصعب تغييرها " [47]
لـــذا ســـيكون وإذا أريد الرقي بمستوى الممارسة الديمقراطية أن يصحب ذلك " توسع المشـــاركة الديمقراطية وشمولية مفهوم المواطنة عملية تنشئة سياسية تدريجية وعملية تعويد على احترام قواعد اللعبة الديمقراطية ومبدأ سيادة القانون" [48]

ورغـــم أن التراث الشعبي أو الثقافة الشعبية قد تكون غير واعية أو مدركة ، وقد تكون تحمل قيماً وأفكاراً غير ديمقراطية ، وترسخ توجهات وسلوكيات سلبية تنعدم فيها قواعـــد وأســـس وشـــروط المشاركة السياسية ، ولكنها لن تكون " معادية للديمقراطية عـــندما يـــتعلق الموضوع بتوسيع حقوق المواطن أمام السلطة أو استقلالية القضاء أو الحـــريات المدنية ... وقد أثبتت التجربة أن عملية دمقرطة الثقافة الشعبية لا يمكن أن تبدأ من دون إصلاحات ديمقراطية تدريجية تعمق الثقافة الديمقراطية " [49] .

الهوامش

(1) الخشـــاب ، مصطفى، علـــم الاجتمـــاع ومدارســـه ، الكتاب الثاني المدخل إلى علم الاجتماع ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، 1965- ص 189

(2) نفس المصدر، ص 179

(3) بـــدر ، احمـــد ، صوت الشعب ، دور الرأي العام في السياسة العامة ، الكويت : وكالة المطبوعات ، 1973، ص 125 .

(4) نفس المصدر، ص 126 .

(5) هـــلال ، علـــي الديـــن ونيفين مسعد ، النظم السياسية العربية ، قضايا الاستمرار والتغيير ، ط1 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، أبريل 2000. ص 122 ، 123 ،

(6) داوســـن ، ريتشـــارد، و آخـــرون ، التنشـــئة السياسية ، دراسة تحليلية ، ترجمة مصـــطفى عـــبدالله ابو القاســـم خشيـــم و محمـــد زاهي المغير بي ، ط1 ، بنغازي : منشورات جامعـــة قار يونس، 1998 . ص 141 -142 .

(7) المغـــير بـــي، محمد زاهي بشير، قراءات في السياسة المقارنة ، قضايا منهاجية ومداخل نظرية ، ط1، بنغازي : منشورات جامعة قار يونس ، 1994. ص 218

(8) نفس المصدر، ص 219 .

(9) هلال، علي الدين ونيفين مسعد ، مصدر سابق ، ص123 .

(10) المغيربي، مصدر سابق ، ص 219-225 .

(11)هلال، علي الدين ونيفين مسعد ، مصدر سابق ، ص 124-125 .

(12) المغيربي، مصدر سابق ، ص 238 .

(13) الخشاب ، مصدر سابق ، ص168 .

(14) مغنية، مصدر سابق ، ص19 .

(15) حقيـــق، محمـــد (تجميع وتصنيف) ، كتاب الشعب سلسلة تحقق اشتراكية الثقافة 5 ،ط1، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان،1978. ص 5،6

(16) مغنـــية ، حبيـــب يوســـف، معجـــم الأمـــثال الشعبية الليبية ، ط1، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،النوار 1425 ميلادية .ص 20،37 .

(17) نفس المصدر.ص164،521 .

(18) نفس المصدر.ص 576 .

(19) نفس المصدر. ص 110 .

(20) Abdelkafi, Mohamed, One Hundred Arabic Proverbs from Libya, first Published, London: Veron & yats Ltd., 1968. P 71

(21) حجـــازي ،مصطفي، التخلـف الاجتماعي، مدخل إلي سيكولوجيـة الإنسـان المقهـور، ط1 ، بيروت : معهد الإنماء العربي ، 1976.ص 49 .

(22) حقيق ، محمد ، مصدر سابق، ص 22،24 .

(23) مغنية، مصدر سابق، ص.ص،135،236،380 .

(24) حقيق ،مصدر سابق ، ص 25،27 .

(25) حجازي، مصدر سابق، ص50 .

(26) مغنية ، مصدر سابق ، ص.ص ،273،384،467،494،525 .

(27) حجازي ، مصدر سابق ، ص 150 .

(28) مغنية، مصدر سابق، ص.ص، 164،179،211،359 .

(29) حجازي،مصدر سابق، ص150،151 .

(30) مغنية، مصدر سابق، ص 412،512 .

(31) نفس المصدر ، ص266،512 .

(32) نفس المصدر، ص 244،339 .

(33) نفس المصدر ، ص 214 .

(34) حقيق، مصدر سابق، ص.ص 8،17،21،94 .

(35) حجازي ، مصدر سابق ، ص 151 .

(36) مغنية، مصدر سابق ، ص 514، 531 .

(37) حقيق ، مصدر سابق ، ص 22،27 .

(38) مغنية، مصدر سابق ، ص 226 .

(39) حقيق ، مصدر سابق ، ص 9 .

(40) حجازي ، مصدر سابق ، ص 150 .

(41) مغنية، مصدر سابق ، ص 24 .

(42) مغنية ، مصدر سابق ، ص 21 .

(43) حجازي،مصدر سابق، ص 158 .

(44) المنوفـي ، كمـال ، " الثقافة السياسية وأزمة الديمقراطية في الوطن العربي" ، المستقبل العربي، السنة الثامنة، العدد 80، اكتوبر 1985، ص67،71 .

(45) البيـج،حسـن علـوان ، " الديمقراطيـة وإشكالية التعاقـب على السلطة"، المستقبل العربي، السنة الحادية والعشرون ، العدد 236،اكتوبر 1998، ص 102.

(46) المغيربي، مصدر سابق ، ص 222 .

(47) نفس المصدر ، ص232 .
(48) بشـــارة ، عزمـــي ،" الـــتحـــول الديمقراطـــي التديـــن الشـــعبي نمـــط التدين الجماهـــيري"،المستقبل العربي، السنة الحادية والعشرون ، العدد 236، اكتوبر 1998، ص 87 .
(49) نفس المصدر، ص88

المراجع

أولا : الكتب :

1-بـــدر، احمـــد ، صوت الشعب دور الرأي العام في السياسة العامة،الكويت : وكالة المطبوعات ، 1973.
2-داوســـن ، ريتشارد، و آخرون ، التنشئة السياسية دراسة تحليلية ، ترجمة مصطفى عـــبد الله أبـــو القاسم خشيم ومحمد زاهي المغيربي، ط1 بنغازي:منشورات جامعة قار يونس ، 1988.
3-هـــلال ، علـــي الديـــن ونيفيـــن مســـعد ، النظم السياسية العربية قضايا الاستمرار والتغيير، ط1 بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، أبريل 2000 .
4-حجـــازي مصطفى ، التخلف الاجتماعي ، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، ط1 ، بيروت : معهد الاتحاد العربي، 1976 .
5-حقيـــق، محمـــد (تجميـــع وتصنيف) ، كتـــاب الشعب سلسلـــة تحقـــق اشتراكيـــة الثقافة 5 ،ط1 ، طرابلس :المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان،1978 .
6-المغيربي، محمد زاهي بشير، قراءات في السياسية المقارنة العامة، قضايا منهاجية ومداخل نظرية ، ط1 ، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس،1994 .
7-مغنـــية، حبيـــب يوسف ، معجم الأمثال الشعبية الليبية ،ط1 ، ليبيا:الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، النوار1425 ميلادية.
8-الخشـــــاب ، مصطفى ، علـــم الاجتماع ومدارســـه ، الكتاب الثاني ، المدخل إلى علم الاجتماع ، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر ،1965 .
9- Abdelkafi, Mohamed , One hundred Arabic Proverbs from Libya, 13 first Published ;London: Vernon & yates LTD , 1968.

ثانيا : الدوريات:

1-البـيـج، حسـن علوان، "الديمقراطيـة وإشكالية التعاقـب على السلطة"، المستقبل العربي، السنة21 ، العدد236، أكتوبر 1998، (95-107) .

2-بشـارة ، عزمـي ، التحول الديمقراطي التدين الشعبي نمط التدين الجماهيري " ، المستقبل العربي ، السنة 21، العدد 236 ، أكتوبر 1998 ، (86 -94) .

3-المنوفـي ، كمـال، " الـثقافة السياسـية وأزمة الديمقراطية في الوطن العربي " ، المستقبل العربي ، السنة 8، العدد 80 ، أكتوبر 1985، (65-78) .